منهجية تقعيد العلوم الإسلامية

نشأتها ومصادرها وخطواتها
حربية محمد أحمد
مبارك حسين نجم الدين

المستخلص

موضوع هذه الدراسة هو منهجية تقعيد العلوم الإسلامية تعرض فيه الباحثان لنشأة العلوم الإسلامية، ودواعيها، ومنطلقات تأسيسها، مع بيان مفهوم التقعيد، ودواعيه الباعثة إليه، ومصادره التي استمد منها، والخطوات المنهجية التي اتبعها علماء الإسلام في إجرائه، مع الإشارة إلى ما أسفرت عنه تلك الخطوات من ضوابط، وقواعد . واتبع الباحثان المنهج الوصفي التاريخي التحليلي، مع إفادتهم منبقية المناهج فيما دعت إليه الضرورة، وكان لهذا البحث أهدافه التي سعى لإبرازها التي من أهمها :

1. بيان دواعي نشأة العلوم الإسلامية ومنطلقات تأسيسها.
2. الإشارة إلى أثر تقعيد العلو مالإسلامية في ضبط علوم الأوائل التي ترجمت إلى العربية.

ومن أهم ماأسفر عنه هذا البحث من نتائج :

1. تقعيد العلوم الإسلامية جرى على منهجية علمية نتجت عن فكر، وتفكير وتنظيم وتخطيط، وعمل وتطبيق، اتكأ على بنية علمية قوامها الجمع والوصف والاستقراء، ثم التحليل، والتقنين، ثم التفسير.
2. معظم القواعد في العلوم الإسلامية مبنية على الوصف والاستقراء، وهي غير قابلة للتغيير؛ لارتباطها بالقرآن الكريم، والسنةالمطهرة

Abstract

This study is a systematic codification of Islamic Sciences, the researchers have dealt with the emergence of Islamic Sciences, and reasons, and platforms established, with a statement concept Altqaid, and motive emitting it, and sources which are derived from, andMethodology steps followed by the scholars of Islam in the vote, with reference to what has resulted from those steps of the controls, and rules. The researchers follow descriptive historical analytical approach, with their evidence of the rest of the methods called for necessary, and it was for these search objects, which sought to be highlighted, that perhaps the most important:

1. Statement of the reasons for the emergence of Islamic sciences and established premises.
2. Reference to impact codification Science Islamic adjusts top science that has been translated into Arabic.

The most important outcome of the search results:

1. Codification of Islamic sciences were on a scientific methodology resulted is codification from the thought, and think, and organization and planning, work and application, leaned on a strong scientific structure combining description and introspective, then analysis, rationing, and interpretation.
2. Most of the rules in Islamic sciences based on the description and extrapolation, which is not subject to change; because were linked to the Holy Quran and the Sunna.

المقدمة

الحمد لله ما سبح له حاج وداج ، والصلاة والسلام على صاحب الشرعة والمنهاج ، والصلاة والسلام على صحبه تملأ الفجاج ، وبعد : فإن العلوم الإسلامية قد نشأت في جو علمي متحرر تماما ً من الكبت الديني والتسلط الفكري ؛ إذ اقتضت نشأتها نهضة علمية سريعة النمو ، ورغبة ملحة في الاستزادة من المعرفة ، فاستقت من القرآن أسلوب التفكر والتدبر والبحث عن الحكمة ، والنظر في العلل والأسباب ، والاعتبار بالمآلات ، وإعمال الحواس ؛ استماعاً ، وملاحظة ً وتعقلاً ، واسترشاداً ، وموازنةً ، واستبصارًا ، كما ارتوت من السنة المطهرة في دعوتها للتحري ، والاتقان ، والاحسان ، والتعلم ، والتحكم ، والرحلة في طلب العلم ؛ فرسخت على أمر من الهدى ، والموضوعية ، والعلمية ، والارتباط بالعمل والواقع ، والقابلية للتطبيق والاختبار.

أسباب اختيار الموضوع :

من أسباب اختيار هذا الموضوع ، أهمية المنهجية باعتبارها وسيلة البحث للتوصل إلى القواعد المقررة لأحكام العلوم ، أو لأنها مجموعة الوسائل التي يتوصل بها إلى اكتساب العلم ؛ ولأن النظر في المنهجية قد تطور في عصرنا هذا حتى أصبح موضوعها في مقام العلوم وحتى أطلق عليها لفظ علم المنهجية (methodology) ، واختلط مضمونها بفلسفة العلوم ذاتها ، ولجهل كثير من أبناء المسلمين المعاصرين دور علماء الإسلام في إنجاز هذه المنهجية وبلورتها للدرجة التي جعلت العلوم تؤتي أكلها في هذا العصر .

حدود البحث :

انحصر هذا البحث في حدود موضوع تقعيد العلوم الإسلامية بدءاً من دواعي نشأة منهجية تلك العلوم ، إلى الخطوات المنهجية التي اتبعت في تقعيدها ، ولم تعن بالتفاصيل الدقيقة لتلك العلوم ، كما لم تعن بتفاصيل المناهج التي اتبعت في تقعيدها ، وإنما اكتفت بالإشارة إلى مناهج النظر والاستدلال ، والنقل والتحمل ، وكانت الإشارة إلى كل في السياق الذي يتطلبه.

منهج البحث :

اتبع الباحثان في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي التاريخي ؛ لأن طبيعة الدراسة قد اقتضته مع الإفادة من باقي مناهج البحث فيما دعت إليه الضرورة.

<u>أهداف البحث :</u>

سعى هذا البحث لإبراز الأهداف التالية :

1. توضيح مفهوم التقعيد، وبيان دواعي نشأة العلوم الإسلامية ، ومنطلقات تأسيسها.
2. تحديد المصادر التي استقى منها علماء العلوم الإسلامية ضوابط التقعيد وقواعده.
3. وصف الخطوات المنهجية التي اتبعت في تقعيد العلوم الإسلامية ، مع الإشارة إلى ما أسفر عنها من مناهج
4. الإشارة إلى أثر تقعيد العلوم الإسلامية في ضبط علوم الأوائل وتأصيلها ، ووضعها في محك الواقع والعمل؛ مما كان سببً ا في الثورة العلمية المعاصرة.

سؤالات البحث :

تجسدت مشكلة هذا البحث في السؤالات الآتية :

1. ما دواعي نشأة العلوم الإسلامية ، وما منطلقات تأسيسها ؟.
2. ما التقعيد ، وما المصادر التي استقى منها ضوابطه وقواعده ، وما الذي دعا إليه في العلوم الإسلامية ؟.

3. ما الخطوات النهجية التي اتبعها العلماء في تقعيد تلك العلوم ؟ .

4. ما الذي أسفرت عنه تلك الجهود، وما أثرها في العلوم الكونية المعاصرة ؟.

مخطط البحث :

جاء هذا البحث في أربعة مباحث وخاتمة ، فكان عنوان المبحث الأول ، دواعي نشأة العلوم الإسلامية ومنطلقات تأسيسها ، والمبحث الثاني عنوانه مفهوم التقعيد ودواعيه ، والمبحث الثالث كان عنوانه مصادر تقعيد العلوم الإسلامية ، وعنوان المبحث الرابع – وهو الأخير – الخطوات المنهجية للعلوم الإسلامية ، كما ذيلت هذه المباحث بخاتمة شملت عدة نتائج ذات ارتباط بالأهداف والمشكلة .

دواعي نشأة العلوم الإسلامية:

أول ما نزل من القرآن الكريم دعا إلى القراءة باسم الله سبحانه وتعالى إذ قال جل وعلا: (**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى)**(سورة الأعلى الآية1) ، كما دعا إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ملاحظة وتدبراً واعتباراً كما في قوله تعالى:(**أَفَلا يَ نظُرونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ 17 وَإِلَى السَّماء كَيْفَ رُفِعَتْ 18وَإِلَى الْجِبَ الِ كَيْفَ نُصِبَ تْ 19 وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ20)** سورة الغاشية ، الآيات 17–20.).

كما **أن** كثيراً من آيات القرآن الكريم قد ذّيلت بالدعوة إلى إعمال العقل ، وإجراء عملياته تذكراً ، وتدبراً ، وتفكراً، واسترشاداً . فالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والإسلام في عموم دعوته جاء ليوجه الحياة لغاية واحدة ، هي العبودية لله تعالى وحده ، وحينما تكون غاية الحياة واحدة ، فإن الفكر فيما يتجه إليه من سعي ؛ تكون نتائج مسعاه متكاملة متناسقة ؛ ولهذا فإن الحقيقة التي يبتغيها المسلم إما أن تكون في الوحي قرآناً وسنة ، وإما أن تكون في الكون بعوالمه وتمثلاته المختلفة ، وكل من هذا وذاك ، من فعل الله ، فلا تعارض فيه ولا تناقض ولا ازدواج.

بهذه الروح التكاملية في السعي المعرفي ، انطلق السلمون في التفكير بحثاً عن الحقيقة في مستوياتها المختلفة ، مادياً ومعنوياً ، وبهذه الروح نشأت الحركة العلمية في حضارة الإسلام ، فكانت العلوم التي أنتجتها أو أخذتها وهيمنت عليها ، متناسقة متكاملة ؛ فهي إما علوم نشأت لخدمة القرآن والسنة ، وتنزيلاً للدين في حياة الناس إيمانا وتوجيها وتصوراً إيمانياً ، وسلوكاً عملياً ، وإما علوم مأخوذة من علوم الأوائل ولكنها عبدت بالعقل المسلم المؤمن آخذاً منها ما يوافق دواعي الإيمان ، وتاركاً ما يخالفه ويناقضه ، فاستقرت في وضع جديد ضمن دائرة العلوم الإسلامية.

وقدبيّن لنا ابن خلدون هذا الانبعاث المبارك للعلوم في حضارة الإسلام ، مصنفاً إياها إلى قسمين كبيرين:

أولهما العلوم الحكمية الفلسفية : وهي التي يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها

وثانيهما هي العلوم النقلية والوضعية : وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع في مسائلها بالأصول ؛ لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي

تلك العلوم التي ذكرت ، هي العلوم النقلية وهي في غالبها معقول من منقول وفق أصول وقواعد ، تعرف تلك العلوم النقلية بالعلوم الإسلامية ؛ لأنها علوم نشأت في كنف حضارة الإسلام ودولته ، خدمة للقرآن الكريم والحديث الشريف ، وحماية لهما من التحريف والتصحيف والوضع والاستغلاق ،وتنزيلاً للدين في حياة المكلفين بداعية تجدد الحوادث والوقائع ، وتماشيا مع صلاحية دين الإسلام لكل عصر ومصر . هذه العلوم نشأت في تربة الحضارة الإسلامية يرويها القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويحفزها الاجتهاد حتى تكاملت واتسقت

ونضجت ، فأصبحت لها قواعدها وكلياتها وأصولها ومناهجها ومصطلحاتها وسندها وتراجمها ، وألفت فيها المطولات والمختصرات والمتون والحواشي ، وقد قال ابن خلدون في هذا : (ثم أن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لاشيء فوقها ، وهذبت الاصطلاحات ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق ...) ، (ابن خلدون ص 484).

ومما سبق يمكن القول : أن العلوم الإسلامية الشرعية النقلية ، نشأت بداعية الاجتهاد الذي بدأ منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم كثر وعظم في عهد خلفائه الراشدين ، ثم استبحر وكثرت مذاهبه وعرفت قواعده وتعاضدت فيه العلوم النقلية بما فيها من الكليات والأصول المنقولة والفروع الملحقة المعقولة ، ثم لما بعد العهد بالناس عن زمان النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته ، وفسدت السلائق اللغوية ، ونشبت الفتنة ، وكثرت الفرق ، وتواردت على الملة الإسلامية النحل والملل ، من أتباع الديانات القديمة ، والحضارات الآفلة من فارسية ، ويونانية ، ورومانية وغيرها ، وبرزت دواعي التقعيد والمنهجية بتهذيب الاصطلاحات ، وترتيب الفنون ، ومعرفة الأسانيد ، واستقراء القواعد والكليات ، وتأصيل الأصول وغير ذلك مما عنيت به هذه الدراسة بغرض بيان منهجية تقعيد العلوم الإسلامية وتوضيح المناهج التي تضافرت في هذا التقعيد.

دواعي تقعيد العلوم الإسلامية:

التقعيد في اللغة مأخوذ من الجذر اللغوي (ق ع د) الذي يدل على عدد من المعاني منها : الجلوس ، والتكاسل ، وانقطاع الحيض عن المرأة ، والحبس ، وأساس البيت ، ولعله من أساس البيت(الرازي ، ص277) أخذ اسم القاعدة ، والقاعدة هي الأساس أو الأص ، وكل قاعدة هي أصل للتي فوقها . والقاعدة في اللغة هي ما يقعد عليه الشيء أي يستقر ويثبت ، وفي الاصطلاح قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها(.أبو البقاء الكفوي 1993م، ص702)وعليه يمكن القول : إن التقعيد في اللغة هو مصدر الفعل المزيد قعّد وفي الصرف كل فعل على وزن فعّل مصدره التفعيل وهذه قاعدة تطرد وتنقاس ، فالتقعيد في اللغة هو التجليس والتأسيس والتحبيس ، ومن المعنى اللغوي كان المعنى الاصطلاحي وفيه عدة تعريفات منها:

- التقعيد هو طريقة بناء القاعدة وتحديد ما يندرج تحتها مما يصدق عليه مضمونها ، والقاعدة في عرف علماء الإسلام هي الأصل ؛ لأن الأصول من حيث أنها مباني وأساس لفروعها سميت قواعد(أبو البقاء الكفوي 1993م، ص122).
- التقعيد هو : ضم شعث فروع تحت كلي جامع أو هو حمل المفهوم الكلي على الموضوع على وجه كلي بحيث يندرج فيه أحكام جزئياته.
- ومن التعريفين السابقين لمصطلح التقعيد يتضح أن التقعيد متأخر عن العلوم في النشأة خاصة ما بني على الجانب النقلي ؛ لأن أصول علوم الشريعة منقولة– أي مبنية – على ماورد في الكتاب والسنة بالنص أو الإجماع والنقل هنا يكون في الاستقراء المنقول من القواعد ، وبهذا يكون متأخراً عن العلوم في النشأة هذا من حيث الجانب النقلي، أما الجانب العقلي من التقعيد فسابق لنشأة العلوم لأنه في هذا الجانب ينبني عليه العلم ، فالعلم ينبني على مسلمات العقل وما يتفق عليه العقلاء ، ولا يصح تقعيد أي علم إلا بالجمع بين الجانب العقلي والجانب النقلي .

- ولما كان استقراء القواعد للعلوم الإسلامية أمراً منقولاً عن النصوص كالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام العرب واجماع الصحابة ، كانت مرحلة تقعيد هذه العلوم متأخرة عن نشأة مفرداتها ، لأن هذه العلوم الإسلامية كالقراءات ، والتفسير ، وعلوم الحديث ، والفقه ، والنحو ، والبلاغة – **معقول من منقول** – والتقعيد عمل عقلي يستخدم فيه الاستقراء والقياس كان تقعيد قواعدها متأخراً عن نشأة مفرداتها ، والتقعيد باعتباره عملاً عقلياً منهجياً يقوم على جمع شعث الجزئيات تحت كليات مطردة يحتاج للتراكم المعرفي وتواصل خبرات الأجيال إضافة لدواعي أخرى تحث العلماء عليه منها–:

*جمع شعث العلوم ومفرداتها ممثلة في الفروع تحت أصول أو كليات مطردة.

*حسم الخلاف في المسائل والفروع بالاستناد إلى أصول أو كليات أو قواعد مطردة تصدق على الجزئيات ؛ لأن غرض القواعد والأصول هو توجيه الاجتهاد أو البحث من وجه قانوني يفيد بكيفية استنباط الأحكام من أصولها(ابن خلدون ،ص483).

*احتياج اللاحقين– **عند انقلاب العلوم كلها صناعة** – إلى تحصيل القواعد والقوانين لاستفادة الأحكام من الأدلة(ابن خلدون ،ص504).

*حاجة عصر التابعين وما تبعه إلى تجريد قواعد ينضبط بها التفكير العلمي خاصة إذا علمنا أن ذاك العصر وما تبعه قد حفل بكثير من المستجدات والنوازل، من ترجمة علوم السابقين، إلى بروز الجدل والمناظرات وتشعب المذاهب والفرق، واختلاف الآراء وكل ذلك مصحوب بالناحيتين الزمانية والمكانية ، والخلفيات الثقافية والنفسية لمن صدرت عنهم تلك الآراء والأقوال ، فالحاجة في هذه الحال داعية إلى قواعد مجردة تضبط التفكير العلمي عن الانزلاق إلى مهاوي الهوى والتحكم الشخصي الذاتي.

*اقتضاء العلم الإلمام بالحقائق العلمية الكلية والمركبة التي تتدرج تحتها المسائل والجزئيات في جهة واحدة(عناية 1990م، ص153) ؛ لأن هذا من بديهيات العقل وما سمي العقل عقلاً إلا لربطه الأشياء وجمعها في مسلمات تنبني على التناظر أو التشابه أو التماثل ، إضافة إلى أن كثيراً من آي القرآن الكريم قد حثت على التعقل والتدبر والنظر والاعتبار.

*ضرورة أخذ العلم وتلقيه عن أهله ورجاله وطبقاته مع علمهم بمذاهبه وكيفياته وطرق تعليمه ، وهذه ضرورة اقتضت معرفة رجال العلم المعين ومعرفة مذاهبهم في أخذه وطرق تعليمه وتصحيح مسائله وتقويمه ، يقول ابن خلدون في ذلك: **(وكان لكل فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها للتعليم)**(ابن خلدون،ص404).

*العلم بالخلافيات يقتضي معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام ومعرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب والفرق لضبط مسائل الجدل والمناظرة في الاستدلال والقبول والرد(ابن خلدون،ص506). وليكون إطار الخلاف والجدل في حدود العلم وموضوعه ولا يخرج إلى الإساءة والتجريح.

*صيرورة العلوم الإسلامية كلها علوماً ذات ملكات محتاجة للتعليم مما جعلها مندرجة في جملة الصنائع (ابن خلدون ،ص606) ، وكل صناعة لها قوانينها الكلية الضابطة لجزئياتها ومسائلها ، ومفاهيمها المعينة على التدرب عليها انطلاقاً من القاعدة إلى الجزء ، ومن الجزء إلى القاعدة.

*تجريد العلم عن اختلاطه بالاصطلاحات ، وأنحاء التعليم وطرق التوصيل مما ينهض قوى المتعلمين إلى الرسوخ والاستحكام وتصحيح المعارف وتمييزها عن سواها (ابن خلدون ، ص198). فالقواعد هي أصول العلوم وقوانينها والاصطلاحات والأنحاء والطرق هي وسائل التقعيد وهذا مما يقوي ملكات المتعلمين في مجال اختصاصاتهم.

*نشاط حركة التدوين وتطور الكتابة العربية مما أعان على التدوين إضافة إلى جانب الرواية مما ساعد على تراكم المعارف واتساع الخبرة.

*العناية بتصحيح الأخبار خاصة ما نشره اليهود والذي عرف بالإسرائيليات ، وكذلك ما نشره النصارى والفرس ، وكل هذه الفئات دخلت الإسلام وما زال بعضها يحمل عصبية لدينه أو قومه (الكشعة،2009م، ص23)

*الاهتمام بجمع حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتوثيق الرواية عنه لأن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع مما ساعد على بروز المنهج النقلي في الرواية .

*تيسير تعليم العلوم ؛ لأن تعليم العلوم لا بد له من ضوابط وقواعد يجري وفقها منهج التعليم وطريقته ، مثلاً تيسير تعليم اللغة الفصحى لناشئة العرب وللعجم ، اقتضى تقعيد قواعد النحو والصرف ، وضبط الخط إعراباً واعجاماً ، وهكذا يقال في الأخريات.

*مواجهة ظاهرة وضع الأحاديث والقصص ونسبتها إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكذلك مجابهة ظاهرة انتحال الشعر ونسبته إلى الجاهليين وكان ذلك بسبب الفتنة والشعوبية والعصبية القبلية فكان تقعيد القواعد (القطان،2007م، ص31) من الوسائل المنهجية لغربلة أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتنقية شعر العرب من الانتحال والدرس.

*جمع القرآن الكريم بين دفتي المصحف وتوحيد رسمه واهتمام الناس به والتبرك بكتابته مما أزال الوحشة عن قلوب العلماء في كتابة فتاويهم ودروسهم ، وكثرت الدروس والأمالي مما أبرز الحاجة إلى الضوابط والقواعد ، ووجه نظر العلماء نحو تقعيد قواعد العلوم الإسلامية وضبطها وفق منهاج واضح.

*الباعث الديني والفكري التاريخي ؛ لأن الأمم تعنى بتراثها الفكري الذي يمس حياتها ويخالط شغاف قلوبها ، وتقوم عليه نهضتها وكذلك الحرص على التراث ووقايته من الدخل مما يحدث فيها من فتن ، وما تتعرض له من عداء خصومها والدس عليها(القطان، م2007،ص47).

تكامل العلوم الإسلامية وتآزرها في خدمة الشريعة والعقيدة وتواشجها ونشأتها في بيئة علمية ثقافية واحدة جعل بعضها يؤثر على بعض ويتأثر به ، هذا التأثير والتأثر المتبادل بين العلوم الإسلامية(ياقوت، 2000م، ص94-117) نقلية وحكمية جعل بعضها يسعى لتقعيد قواعدها تأسياً ببعضها الذي جرى تقعيد قواعده.

*بروز الكتب والموسوعات التي تحصي العلوم وتحدد قوانينها وقواعدها والفائدة منها ، والكتب التي صنفت فيها وأهم علمائها ، مما أسهم في تقعيد العلوم الإسلامية ، ومن تلك الكتب : إحصاء العلوم للفارابي ، ومقدمة ابن خلدون ، والفهرست لابن النديم ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبري زادة ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة وغيرهم.

مصادر تقعيد العلوم الإسلامية:

إذا كان لكل علم من العلوم داع لنشأته وحافز لنشره ، وباعث لارتقائه وإتقانه ، فإن تقعيد قواعد كل علم من العلوم له مصادره التي أعانت على استمداد قواعده واستقرائها وتعميمها . وكسائر العلوم فإن العلوم الإسلامية مثلما كانت لها دواعيها في نشأتها وحوافزها في انتشارها وبواعثها في إتقانها كان لها أيضاً مصادرها التي أعانت العلماء ووجهتهم إلى تقعيد القواعد واستمدادها واستقرائها وتعميمها ومن تلك المصادر ما يلي :

أ- **القرآن الكريم:**

القرآن الكريم هو معجزة النبي (صلى الله عليه وسلم) الكبرى وكتاب الهداية والشفاء والبركة والرحمة والنور والتزكية والتعليم والإرشاد الذي جعله الله سبحانه وتعالى معجزة خالدة للعالمين ، وله عدة تعريفات أجمعها هو : (كلام الله المنزل على محمد (صلى الله علبه وسلم) المتعبد بتلاوته(القطان ، 1996م، ص17).

وقد سماه الله سبحانه وتعالى بأسماء كثيرة منها : القرآن كما في قوله تعالى : **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** (سورة الإسراء ، الآية رقم 9) ، والكتاب كما في قوله تعالى: (**سورة الأنب لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** سورة لأنبياء ، الآية رقم 1.) . والفرقان كما في قوله تعالى : **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** (سورة الفرقأن ، الآية رقم 1) والذكر كما في قوله تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (سورة الحجر ، الآية رقم9)،والتنزيل كما في قوله تعالى: **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)سورة الشعراء ، الآية رقم 192)، وقد غلب من أسمائه القرآن و الكتاب. وقد كان القرآن الكريم مفتاحاً للعلم و موجهاً إليه وهادياً ورافعاً لدرجات العلماء ، كما وردت في أذيال آياته كثير من الدعوات والتوجيهات لإعمال العقل وتفكراً وتدبراً وتذكراً واسترشاداً ، ومن هنا كان إعجازه العلمي ؛ لأنه يحث الإنسان على التفكير والبحث والنظر كما في قوله تعالى: **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ 17 ، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ 18، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ 19 ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ 20**(سورة الغاشية ، الآية17-20).

كما أن القرآن الكريم يثير الحس العلمي في قارئه ومتدبره والمؤمن المتدبر خاصة ؛ إذ فيه دعوة للتفكير والفهم والتعقل كما في قوله تعالى: (**تِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)(سورة الحشر الآية رقم 21.) ، وقوله تعالى : **قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**)(سورة الأنعام ، الآية رقم 98.).

وفي القرآن الكريم دعوة لإعمال الحواس في التدبر والتفكر والتعقل والاسترشاد واكتساب العلم كما في قوله تعالى : (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)(سورة النحل ، الآية رقم 78) ، كما دعا القرآن المسلمين إلى العلم بالعمل ودعا إلى إقامة البراهين على الدعاوى وإقامة الدليل على الحجة ، كذلك في قصص القرآن وأحكامه وتوجيهاته وأمثاله ، وجدله ، وحواره دعوة للاعتبار والنظر والاسترشاد.

ومثلما نقل القرآن المسلمين نقلات هائلة في التصور والاعتقاد ، والعلوم والمعارف، فإنه أيضا نقلهم نقلة هائلة في مجال المنهجية ، وهي نقلة ترتبط بالنقلة الاعتقادية التصورية ، والنقلة العلمية المعرفية ، ولأنه من دون منهج فلا بلوغ للأهداف ، ولا وصول للمرام مهما صح الاعتقاد ونال الإنسان من المعرفة ، و لتحقيق المنهجية في بناء العقل المسلم ، برزت تلك المنهجية في أبعاد ثلاثة(عماد خليل،1995، ص70). هي: السببية ، والقانون التاريخي ، والدعوة لإعمال الحواس ، فالسببية تجسدت في النظر إلى الكون على أنه إبداع الخالق الكبير اللطيف الخبير ، وأنه تحكمه قوانين واحدة تصدر عن إرادة واحدة هي إرادة الخالق المتعال ، ومما يدل

على ذلك قوله تعالى: (**ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِن فُطُورٍ**)(سورة الملك ، الآية3) .

أما القانونية التاريخية في القرآن الكريم ، فتتجسد في الدعوة إلى النظر في التاريخ على أنه ليس مسألة عرض وتجميع ، وإنما هذا العرض للأحداث والوقائع وتعاقب المجتمعات ، وأفول الحضارات ، وقيام حضارات أخرى ، فيه عبرة وإثارة للاعتبار ، واستخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية ، وأن هذه الظواهر تحكمها سنن لا تحابي ولا تحيد ولا تتخلف(عماد خليل ،1995م،،ص 66-71) والإخبار بسنن الله في المجتمعات ، وحوادث التاريخ ، ماثل في القرآن الكريم بكثرة من ذلك قوله تعالى : (**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا**)(سورة الأحزاب ، الآية رقم 62.).

أما دعوة القرآن لاستخدام الحواس استرشاداً ، وتذكراً ، واعتباراً ، وانتظاماً ، ودقةً ، ومقايسةً ، فماثلة في كثير من سوره وآيه في مثل قوله تعالى: (**مَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**)(سورة النساء ، الآية رقم 78). ومن نحو قوله تعالى :(**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)(سورة البقرة ، الآية رقم 11.).

إذن من خلال ما ذكرنا من الأدلة القرآنية يمكننا الجزم أنّ القرآن الكريم قد وجه عقول المسلمين وقلوبهم وحواسهم نحو الدقة والنظام والاقتصاد ، والتعقل ، والتفقه ، والتذكر ، والتدبر ، والاستبصار ، والمقايسة ، والاعتبار ؛ فأنبنت عقولهم بناءً علمياً منهجياً ، جعلهم أهلاً لنقل العلم وضبطه ، وتعليمه ، وجعلهم أهلاً لخلافة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتبليغ عنه بألسنتهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم . وبمثل هذا الانضباط والتكامل المعرفي الإيماني الأخلاقي ، اتجهت عقولهم إلى ضبط العلوم الإسلامية وتقعيد قواعدها ، حفظاً وضبطاً ودقةً وانتظاماً ؛ فكان القرآن – **حقا** – أول مصدر لعلماء المسلمين استمدوا منه تقعيد القواعد استقراءً وقياساً واستنباطاً وتجربةً وملاحظةً واعمالاً مهتدياً ، ومسترشداً ، متعقلاً.

ب – السنة المطهرة:

السنة في اللغة هي الطريقة والسيرة ، محمودة كانت أو مذمومة ، وقد ورد استعمالها في القرآن الكريم والحديث الشريف بهذا المعنى ، وهي في اصطلاح الأصوليين : ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) –غير القرآن– من قول ، أو فعل ، أو تقرير(القطأن 2007م،ص13). وفي اصطلاح المحدثين : ما أثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة ، أو سيرة وهي بالمعنى الاصطلاحي للمحدثين مرادفة للحديث النبوي عند أكثرهم ، وهو الاستعمال الشائع ، والسبب في هذا يعود إلى أن علماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة ، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة ، وخلق ، وشمائل ، وأقوال ، وأفعال ، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أو لا و في هذا الأمر يمكن الأخذ باصطلاح المحدثين في فهم السنة باعتبار النبي (صلى الله عليه وسلم) الهادي والإمام القدوة الأسوة ، والسنة المأثورة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بما فيها من أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته ، وشمائله ، وخلقه ، وسيرته ، فيها علم وهداية وإرشاد ، كما أن فيها دقة ونظام ونظر واعتبار ، وفيها دعوة للهداية وحسن الخلق والتعلم ، ودعوة للعمل وربط العلم بالعمل ، ودعوة للتثبت والتروي ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معلماً ، وحاكماً ، وقاضياً ، ومفتياً ، ومربياً ، اتخذ دار الأرقم مقراً له ولأصحابه حين كانت الدعوة سرية ، ثم كانت حياته مدرسة في حله وترحاله ، وكان مسجده داراً للعبادة ، وللعلم والفتوى والقضاء ، يعلم أصحابه ، ويسألونه فيجيبهم ، ويتعهدهم بما لا يورث الملل.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) تحث على طلب العلم وعلى التفقه في الدين ، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) : (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**)(أخرجه البخاري ، كتاب العلم ،

ص 18.). فسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) حافلة بالدعوة إلى التعلم ، والعمل ، والدقة والنظام والنظافة ، والمداومة على الأعمال ، وقد كانت أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) هي القرآن في كل حركة من حركاته وسكنة من سكناته ، وكان صحابته (رضوان الله عليهم) يتأسون به في كل شيء فتعلموا منه النظام ، والاقتصاد ، وتقسيم الوقت والتربية الصالحة ؛ فأخذوا عنه العلم والعمل والتزكية والحكمة ، مصداقاً لقوله تعالى **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** (سورة الجمعة ، الآية رقم 2.).

ويتضح من ذلك أن الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) قد أخذوا العلم والعمل والإيمان والقرآن عن النبي (صلى الله عليه وسلم) تعلماً ومشافهةً ومصاحبةً وتأسياً واقتباساً وتبركاً ، كل على قدر طاقته ووسعه ، وإن كان أخذهم عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخذاً منهجياً منظماً دقيقاً عن خير معلم ، صاحب روية ، ورفق ومعرفة بالناس وأحوالهم ؛ لذلك نقل الصحابة الكرام السنة قولاً وعملاً ومنهجاً ، وعن الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) أخذ التابعون ، وعنهم أخذ أتباعهم إلى أن جاء عصر الأئمة والاجتهاد ؛ فتحرى أصحاب الحديث كتابة حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتحروا الوثاقة والصدق والضبط في رجال الحديث ، وعكفوا على أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يغربلونها مما دسه فيها الزنادقة والوضّاعون وأصحاب الدخل والأهواء ؛ فنشأت علوم الحديث دراية ورواية ، ووضعت القواعد والضوابط لنقل أحاديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، وكان بعض هذه القواعد والقوانين قد وضع في عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مثل-:

1- تقليل الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فكان عمر ينكر على من يكثر الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(القطان2007م،ص48).

2- التثبت في الرواية ، قال الحافظ الذهبي: كان أبو بكر (رضي الله عنه) أول من احتاط في قبول الاخبار ؛لأن سيدنا أبا بكر في ميراث الجدة سأل الناس إذا كانوا قد سمعوا عن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) في ميراث الجدة فقام المغيرة فقال سمعت رسول الله يعطيها السدس فقال أبو بكر هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بذلك فأنفذه لها أبو بكر وهذا يبين ما كان عليه الصحابة (رضوان الله عليهم) من التثبت في قبول الأخبار مخافة الخطأ في الرواية.

3- نقد المرويات ، وذالك بعرضه على القرآن الكريم فإن كان مخالفاً له تركوا العمل به(القطان2007م،ص48)

هذا ما كان في عهد الصحابة أما في عهد التابعين و بعد ما بدأ التدوين فإن علماء الحديث وضعوا قواعد و قوانين لرواية الحديث وأخذه و تحمله و قد نهجوا مناهجاً في تدوينه إما على طريقة المسانيد ، أو على طريقة المعاجم كالمعجم الكبير للطبراني ، وإما على أبواب الدين كما في الجوامع مثل الجامع الصحيح للبخاري ، أو على الأبواب الفقهية كما في السنن .

وبناءً على ما سلف فإنه يمكن القول إن سنة رسول الله (صلى الله عليه و سلم) بما ورد فيها من التعاليم و التوجيهات و الأعمال و التقريرات و الأحكام و ما صحبها من طرق التعليم قد كانت مصدراً ثانياً لعلماء المسلمين في استمداد القواعد و ضبطها و تقعيدها بل إن علماء الحديث بما وفقوا إليه من ابتكار منهج النقل و التحمل عناية بالسند و المتن قد رفدوا الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية بالمنهج النقلي الذي

استخدم في جمع تراث اللغة العربية وتدوينه حمايةً للغة الدين و الدولة من فشو العجمة . وغزو الشعوبية واختلاط الألسن ، ولأن جمع تراث الفصحى من كلام العرب فإنه قد ارتبط بلغة القرآن الكريم ، فإن روايته خضعت لرقابة دقيقة استخدم فيها اللغويون منهج النقل والتحمل بضوابط أهل الحديث وقواعدهم ، كما استخدم هذا المنهج في تدوين التاريخ وكتابته(بنت الشاطئ1971م،ص107).

ج-**<u>الناتج العلمي للحضارات القديمة الآفلة</u>** ، مثل الفارسية والهندية واليونانية ، إضافة للموروث العلمي الذي كان عند الشعوب السامية التي خضعت للفرس والروم مثل السريان ، والكلدان ، والأنباط ، والقبط ، والأشوريين ، تلك الحضارات القديمة كانت لها معارف وعلوم وتطبيقات ، وقد بدأت ترجمة تلك العلوم بصورة فردية منذ بواكير العهد الأموي إذ اشتغل خالد ابن يزيد بن معاوية بالكيمياء في أصولها السريانية والقبطية مفيداً من ترجمتها إلى العربية(ابن نديم، ص242). ثم انتظم نقل العلوم من الهندية والفارسية واليونانية إلى اللغة العربية في العصر العباسي بدءاً من حكم أبي جعفر المنصور وازدهرت الترجمة في عهد الخليفة المأمون(ابن نديم، ص242). ؛ فنقلت علوم الأوائل إلى لغة القرآن الكريم ، لكن الذي نود قوله هو أن مناهج تقعيد العلوم الإسلامية قد سبقت هذه الترجمة ولم تفد منها إلا قليلاً خاصة فيما بعد القرن الثاني الهجري ، ولعل الإفادة كانت من علم الحساب والرياضيات ؛ لأن منهجه قياسي استنباطي ينطلق من معطيات ثابتة إلى نتائج تتضمنها ، وبعبارة أخرى هو تفكيك القضية إلى أجزائها ، أو هوالانطلاق من قضايا مبدئية مسلم بها إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة دون الإلتجاء إلى التجربة ، ويتم بالقول أو الحساب ، وقد شابهت أصول الدين وأصول الفقه والرياضيات في استخدام هذا المنهج القياسي الاستنباطي ، ولكن ما ترجم من علوم الأوائل إلى اللغة العربية كان في ازدهار الحضارة الإسلامية في العصر العباسي أيام الخليفة المأمون ، وفي هذا الوقت نجد أن بعض العلوم الإسلامية قد استوت على سوقها ونضجت واتضحت مناهجها خاصة علوم الحديث ، وأصول الفقه ، والتفسير ، والنحو، مما يجعلنا نستبعد إفادة هذه العلوم في مناهجها من علوم الأوائل المترجمة وإن كانت قد أفادت منها ففي طور متأخر من النضج بعد عصر الأئمة ولعله في زمن الإمام الغزالي(ابن خلدون ، المقدمة ، 543.).ولم يفد علماء الإسلام من القياس والمنطق الأرسطي إلا قليلاً ، وكان هذا في القرن الخامس الهجري ، وافادتهم منه انحصرت في الحدود والتعريفات ، أما ما عدا ذلك فقد أفاد علماء الإسلام من القرآن في القياس خاصة قياس التمثيل ، وقياس الشاهد على الغائب ، وأنه يمكن القول أن عبقرية علماء الإسلام في العلوم النقلية والعلوم العقلية قد تأتت لهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن جملة ممارسات علمية اكتسبوها بالمران والاطلاع منها:

1- نفي الخرافات والعمل بما جاء به الخبر الصحيح المتواتر وبما دل عليه الحس وأدركه العقل.

2- سعة الاطلاع ؛ إذ أن الإسلام أفسح المجال للاطلاع ودعا إلى البحث والنظر والتدبر حتى صارقوله (صلى الله عليه وسلم): (**الحكمة ضالة المؤمن**)(ابن ماجة ،السنن، باب الحكمة). هي شعار العلماء في كل مجال ومكان .

3- الرحلات للبحث والتنقيب ، وقد اشتهر علماء الإسلام بالجد في طلب العلم والرحلة في سبيله من بلد لآخر طلباً للعلم واستزادة في الخبرة وموافاة العلماء ، وكان هذا تقليداً علمياً فاشياً في الحضارة الإسلامية(ابن خلدون ، ص 598).

4- التجارب ؛ لأن العمل بالتجربة وربط العلم بالعمل منهج قرآني ومنهج نبوي ، نقله علماء المسلمين إلى ميدان الدراسات القرآنية وعلوم الحديث والعلوم الحكمية ، وبهذا نقلوا العلم من دائرة السحر والكهانة(ابن خلدون ، ص 537).

ودائرة الأبراج العاجية التي تجعله علماً نظرياً تأملياً يقوم على المحاكمات العقلية كما هو عند فلاسفة اليونان . وجملة القول في المصدر الثالث من مصادر تقعيد العلوم ، وهو ما يشار إليه بعلوم الأوائل ، وما أسميناه النتاج العلمي للحضارات القديمة ، هذا المصدر إفادته في تقعيد العلوم الإسلامية قليلة انحصرت بعد عصر النضج في الحدود والتعريفات والقياس المنطقي الأرسطي(عناية ، 1990م، ص 99.)

5-وفيما عدا ذلك فإن المصادر الأصلية لتقعيد العلوم الإسلامية هي : القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، ولقاح الخبرة والرحلة والتجربة لعلماء الإسلام ، ومن تلك المصادر مجتمعة استمد علماء الإسلام وسائل تقعيد قواعد العلوم الإسلامية قياساً واستنباطاً واستقراءً واستشهاداً وتواتراً فتمكنوا من استقراء القواعد ، وتقعيدها ، وطردها ، والقياس عليها والإفادة منها في استنتاج الأحكام وتعديتها إلى الأمثال والنظائر وكل ذلك من استقراء القواعد وإنتاج وسائل تقعيدها قد تم وفق مناهج منضبطة بالعلمية ، والموضوعية ، والعقلية ، ومبتعدة عن الهوى والمزاج الشخصي ، وما تشتهي الأنفس ، وكان هذا التقعيد دالاً على عبقرية علماء الإسلام وعبقرية الحضارة الإسلامية(عناية ،1990، ص 89).

<u>الخطوات المنهجية التي اتبعت في تقعيد العلوم الإسلامية</u> :

جاءت منهجية تقعيد العلوم الإسلامية ثمرةً ونتاجاً لعدد من الخطوات المتتالية التي اتبعها علماء الإسلام ، وقد جرت هذه الخطوات في مراحل متتالية خطتها أجيال متلاحقة من لدن عهد الصحابة إلى عهد التابعين وأتباعهم لتسفر عن خبرات متراكمة أوجدت مناهج رائعة وصارمة تنم عن جهود علمية قوية وعن موضوعية فائقة وموثوقية رصينة تحلى بها علماء الإسلام ورجاله ، تلك الخطوات التي تتابعت وتتالت لتسفر عن تقعيد العلوم الإسلامية وفق مناهج وثيقة وصارمة تجلت في منهج النقل والتحمل الذي أبدعه علماء الحديث وعمل به اللغويون والمؤرخون والإخباريون ، كما تجلت في منهج الأصول أو ما يسمى أصول الفقه والذي أفاد منه المفسرون والنحاة والبلاغيون ، كما أفاد من منهج النقل والأصول علماء العلوم الحكمية مثل الطب والهندسة والرياضيات وغيرها.

وقد دلت تلك الخطوات المنهجية التي مشاها علماء العلوم الإسلامية ليصلوا لتقعيد القواعد على أن بنية التفكير لديهم قائمة على العلمية ، والموضوعية ، والمنهجية ، والموثوقية .

ودلت تلك البنية الفكرية على أنها لا تعارض مناهج البحث العلمي ؛ لأن خطوات الأسلوب العلمي في التفكير تكاد أن تكون هي نفسها في أي منهج بحثي مع وجود بعض التفاصيل التي قد تختلف باختلاف مناهج البحث بسبب مقتضيات المنهج أو طبيعة الزمان و مستوى التقدم.

تلك الخطوات التي مشاها علماء العلوم الإسلامية في تقعيد قواعد العلوم ودلت على قدرتهم العلمية والمنهجية منها-:

أ - حركة الجمع والتدوين:

بدأت نواة حركة الجمع والتدوين في عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وخاصة في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ جمع القرآن الكريم لأول مرة بين دفتي المصحف بإشارة من عمر الفاروق رضي الله عنه ونفذ المهمة زيد بن ثابت(ابن النديم ، ص 24.) وذلك بسبب استحرار القتل بالقراء في واقعة اليمامة ومخافة ضياع القرآن الكريم وهذه البداية في جمع القرآن بين دفتي المصحف ارتبطت بها مسألة التوحيد من حيث الرسم في مصحف واحد في عهد سيدنا عثمان ابن عفان(جعيط 2007 م ، ص 36).

رضي الله عنه . هذه البداية للتدوين التي ابتدأها خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد كانت نواة مباركة لحركة الجمع والتدوين في فترة لاحقة ، خاصة جمع أحداث سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وجمع الحديث الشريف وجمع فقه الصحابة وفتاويهم(ابن النديم ، الفهرست ، ص 24.).

وفي الفترة التي أعقبت الفتنة وعهد الخلافة الراشدة أي في العهد الأموي خاصة منذ خلافة مروان بن الحكم نجد أن حركة الجمع والتدوين بدأت بداية منهجية منظمة بتكون وسط ثقافي علمي أدرك أهمية جمع العلوم القرآنية وأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وسيرته ومغازيه وفتاوي الصحابة الكرام ذلك الوسط الثقافي العلمي قد تكون من المهتمين بالفقه والمغازي والسير والتاريخ والحديث ، ومن أولئك المهتمين عروة بن الزبير، وابن شهاب الزهري الذي كلفه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث ، ومع حركة جمع الحديث نشطت حركة جمع الفقه والفتيا وجمع التاريخ والمغازي وتدوين الأنساب ، ولأن كلاً من سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز قد اهتم بكل ما هو من الحديث والمغازي فالهم لدى كل من الخليفتين هم ديني يعنى بجمع آثار النبي (صلى الله عليه وسلم) وتدوينها، وبرز من كتاب المغازي في هذه الفترة ، عاصم بن عمر بن قتادة ، ووهب بن منبه ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، ويزيد بن رومان ، وداوود بن الحسين ، فكل هؤلاء من الجيل السابق لابن إسحاق ، وكانوا زمرة متجانسة في السن والموطن ؛ إذ جلهم من أهل مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد كان محمد بن شهاب الزهري شخصية محورية إذ كان من أصحاب المغازي كما كان من أصحاب الحديث وهو الذي ابتدع فكرة السند وتنسب له كتب التاريخ عدداً من الكتب في السيرة وكتاباً واحداً في الحديث(جعيط 2007 م ، ص 36). وهذا لم يحل دون حضوره بقوة في الموطأ وفي الصحيحين.

ومما مضى يمكن القول إن بواكير حركة الجمع والتدوين قد بدأت منذ عهد الصحابة الكرام واستمرت متئدة حتى دولة بني أمية وبدأت تزدهر بعد المائة الأولى من القرن الهجري خاصة منذ عهد عبد الملك بن مروان وبالتحديد في عهد ابنه سليمان وابن أخيه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز(جعيط 2007 م ، ص 36) ؛ لأن جملة من العوامل ساعدت على ازدهارها ونشاطها منها :

1-تعريب الدواون بنقل لغتها إلى العربية مما رفد الثقافة العربية الإسلامية ورغب كثيراً من الأعاجم في تعلم العربية .

2- تشجيع خلفاء بني أمية للشعراء والأدباء والكتاب والمؤرخين ، خلق بيئة علمية تنافسية وجهت العقل العربي لمراجعة ماضيه وجمع تراثه الأدبي وأنسابه وأخباره وأيامه فجرت حركة التدوين تجمع الروايات والمخطوطات.

التفاعل الفكري بين الشعوب الإسلامية نتيجة لاندماج الثقافات ، واتساع آفاق العلوم الإسلامية(الكشعة ، 2009، ص 49.)

3- واقبال كثرة كاثرة من المسلمين غير العرب على حفظ القرآن الكريم وتعلم العربية وأخذ الفقه ، ونشطت بذلك الحركة العلمية خاصة في العصر العباسي الأول.

4- ارتقاء الكتابة العربية في حرفها وخطها وانشائها ، وقد بدأ ذلك منذ وضع أبو الأسود الدؤلي نقط الإعراب ، ووضع تلميذاه نصر بن عاصم ويحي بن يعمر العدواني نقط الإعجام . هذه الأعمال المنهجية في ترقية الكتابة وتحسين حروفها وتسهيل تعليمها للناشئة إضافة لما ابتكره الكتاب والديوانيون من الأساليب الكتابية من يحي ابن يعمر العدواني كاتب يزيد بن المهلب إلى عبد الله المطلبي الذي يعد واحداً من الرواد الذين راضوا الكتابة وخرجوا بأسلوبها من التقعر إلى البساطة ، ومن التوعر إلى السهولة(الكشعة ، 2009، ص 49-57).إلى أن بلغت ذروة ارتقائها الإنشائي والأسلوبي على يدي عبد الحميد بن يحيى المشهور بعبد الحميد الكاتب ، كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية . إذن ارتقاء الكتابة العربية شكلاً، وأسلوباً ، ومنهجاً قد دفع حركة الجمع والتدوين قدماً ، فإذا بلغنا العصر العباسي الأول ، وجدنا لفيفاً من العلماء في الفقه ، والحديث ، واللغة ، والأنساب والأخبار ، والنوادر ، يخرجون من المدن والأمصار طلباً للعلم ، وجمعاً له من أفواه الثقات من العلماء .وفي هذه الفترة الممتدة من أواسط العصر الأموي إلى العصر العباسي الأول اختصت المدينة برواية الحديث ، وبالفقه والسيرة والمغازي ، واختصت البصرة بالشعر واللغة والأخبار(جعيط ،2007م،ص38).

إذن في هذه الفترة نشطت حركة جمع المرويات وتدوينها ، وكان الأهم في ذلك سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومغازيه ، وسيرته ، وفقه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وفتاويهم .

ثم ارتبط بذلك جمع اللغة(أحمد مختار عمر، 2002م ص79) ؛ لتفسير القرآن الكريم والدلالة على عربية ألفاظه ، ثم اتسع الأمر فصار جمع اللغة للدراسة والتصنيف ، ولضبط المفردات داخل التراكيب ، وكان من أهم أهداف الجمع والتدوين حفظ حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الاندثار إضافة لتنقية السنة مما يكون قد دس فيها من وضع وكذب ، ومما لحق بها من حذف أو إضافة ، وكان عزم العلماء في هذا الجانب أكيداً ، وحرصهم شديداً لما يرونه من كون الحديث مصدراً ثانياً للتشريع بعد القرآن الكريم وقد كانت تجربة ابن شهاب الزهري ، رائدة في جمع السنة وابتداع السند واستقصاء الحديث ، وقد كانت هذه التجربة تمهيداً لمن جاء بعده من علماء الحديث ، وقد اهتدى بهذه الطريقة أئمة اللغة في جمع لغة الأعراب من البوادي ، وقد كان الهدف الأساسي لهذه الخطوة المسماة بمرحلة الجمع والتدوين هو جمع ما تفرق((الكشعة ، م2009، ص 49). من السيرة والحديث والتاريخ والمغازي والفقه وأيام العرب ولغتهم وشعرهم ولاستقصاء هذا الجمع والتحوط من أن يدخله ما ليس منه . وقد كثر في هذه المرحلة الرواة والعلماء والمؤلفون ، فجمعوا مادة علمية غزيرة في الحديث والسيرة والمغازي والأخبار والفقه واللغة.

ب - حركة الفحص والتصنيف:

في هذه الحركة المسماة بحركة الفحص والتصنيف عكف العلماء في الحديث والفقه والمغازي والمرويات من النصوص والأقوال والفتاوى والأحكام ، يفحصونها فحصاً دقيقا لتوثيق مصادرها ومتونها بناًء على خبرة راسخة لكل في مجاله بالنظر في السند والمتن ، وفي هذه الحركة استطاع العلماء - **كل في مجاله** - كشف الزائف

والمنحول والمدسوس والموضوع والضعيف ، فأعملوا الجرح والتعديل ؛ فميزوا رواة عرفوا بالضبط والموثوقية والأمانة ، وكان هذا في مجال الحديث أكثر وضوحاً كذلك في مجال السير والمغازي والأخبار والأنساب واللغة ، وجرحوا آخرين اشتهروا بالتهاون أو الوضع(بنت الشاطئ، 1971م،ص108).

أو سوء الحفظ أو النسيان وغير ذلك ، وبقدر حاجة الأمة إلى الحديث والفقه والسيرة واللغة ، كانت جدية الرواية وفحص المرويات وامتحان الرواة.

في هذه الخطوة بعد ما تم للعلماء توثيق الرواية وتمييز الرواة جرحاً وتعديلا ً، ونقد المتون وعرضها على القرآن الكريم، وكلام النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا في مجال الحديث والفقه ، وعرضها على كلام العرب الفصحاء ، وهذا في مجال اللغة ، بعد هذا التمام والتوثيق والفحص والفرز ، جرى التصنيف والتأليف بناًء على ما اسقرأه العلماء من الأصول والقواعد المضطردة ؛ لأن العلماء في حركة الفحص والتصنيف ، استطاعوا بالاستقراء أن يستخرجوا قواعد علمية ، أو كليات أصولية مطردة يمكن القياس عليها وتعديتها واستنباط الأحكام بالقياس عليها . ففي مجال الحديث صنف العلماء الحديث إلى صحيح ، وحسن ، وضعيف (– ابن كثير 2010م ، ص 20.). وفي مرحلة الفحص والتصيف وضعت المصطلحات الخاصة بكل قسم وعلم ، وقسم الرواة والنقلة إلى طبقات وكتبت سيرهم في تراجم ؛ فأصبح لكل علم رجاله وطبقاته ، وأصبحت العلوم متمايزة وإن كانت متواشجة ، وأصبح لكل أهل علم طرائقهم في التعليم.

وفي هذه المرحلة انقسم الفقه إلى طريقتين **أولاهما** طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق ، وكان الحديث فيهم قليلا– ً لعله لبعدهم عن مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ولكثرة الوضاعين ، والزنادقة والشعوبيين بينهم – فاستكثروا من القياس ومهروا فيه ، ولذلك قيل عنهم أهل الرأي ، ومقدم جماعتهم الذين استقر الرأي فيهم أبو حنيفة(ابن خلدون ، ص 494.). **وثانيهما** طريقة أهل الحديث ، وهم أهل الحجاز ، وإمامهم مالك بن أنس ، ومن بعده الشافعي ، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به ، وهم الظاهرية ، فجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص ، والإجماع وكان إمام هذا المذهب داؤود بن علي وابنه وأصحابهما ، كانت هذه المذاهب الثلاثة في الفقه هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة ، وبين هذه المذاهب توزعت مدارك الفقه(ابن خلدون ، ص 495). وبجانب علم الفقه والحديث نمت علوم اللغة وتابع أئمتها طرائق أهل الحديث ومناهجهم في النقل والتحمل وتابعوا أهل الفقه في مداركهم وأصولهم وبرز لهم بالعراق مذهبان(ابن خلدون ، ص 604) : مذهب أهل البصرة ؛ وهو الأقدم ، وهم أهل رواية وقياس وضبط وصرامة ، ومذهب أهل الكوفة ، وهم تلاميذ البصريين ، وهم أهل رواية وقياس غير أنهم متسامحون ومتساهلون في شروط الرواية والأخذ .

وخلاصة ما يمكن قوله في هذه الخطوة أو المرحلة ، إن العلوم الإسلامية كثرت وانتشرت وظهرت فيها المذاهب لاختلاف بعض المدارك واتضحت بعض الضوابط والقواعد في كل علم ، وكثر الاجتهاد ، وظهر الأئمة والأتباع ، غير أن العلوم لم تصل كمال الضبط والتجريد ليميز أهل كل علم مواطن خلاف مذاهبهم ، وقد كان هذا في مرحلة تالية هي مرحلة التكميل والتهذيب والتجريد

ج – مرحلة التكميل والتهذيب والتجريد :

هذه المرحلة الثالثة التي أطلقنا عليها مرحلة التكميل والتهذيب والتجريد تعد مرحلة حاسمة في تقعيد العلوم الإسلامية ؛ إذ تبلورت فيها المناهج وجردت فيها القواعد المطردة ، والكليات الأصولية ، وضبطت فيها مصطلحات العلوم وهذبت فيها الصناعة إذ أصبح لكل فن وعلم إمامه وتلاميذه ومذاهبه وطرائق تعليمه ، وكثرت في هذه المرحلة المناظرات بين أتباع مذاهب العلوم وضبطت قواعد الجدل وتلاقحت العلوم وأثر

بعضها في البعض ، وتكاملت معرفياً فما من علم من العلوم الإسلامية من الحديث والفقه ، والتفسير والقراءات ، والنحو واللغة ، إلا وحضرت فيه العلوم الإسلامية الأخرى ، فالمفسر يستدعي علوم الحديث كما يستدعي أصول الفقه ، ويستدعي علوم اللغة والسبب في ذلك أن هذه العلوم قد نشأت في كنف الوحي قرآناً وسنة وكان الغرض منها خدمة القرآن الكريم تفسيراً وبياناً وتنزيلاً في واقع الحياة ، وخدمة السنة المطهرة ضبطاً وبياناً وتنزيلاً في واقع الحياة قولاً وعملاً.

وفي هذه المرحلة استبحر العمران واتسع نطاق الدولة وانقلبت العلوم كلها صناعة ، واحتاج العلماء والفقهاء(ابن خلدون ، ص 405) وغيرهم من أصحاب العلوم لاستفادة الأحكام من الأدلة والكليات والأصول ، وليس هذا في الفقه فحسب بل في التفسير وفي النحو والصرف والبلاغة وغيرها ؛ فبرز علماء أجلاء أكفاء قعدوا القواعد بعد تجريدها وتهذيبها وضبطها ، فاصبحت معينة للعلماء كل في مجاله ، ففي مجال الفقه والحديث كان الإمام الشافعي هو الذي قعد أصول الفقه وفتح للعلماء في مجال القرآن والسنة الباب واسعاً لاستفادة الأحكام وضبط الفروع بالأصول ، وربطها وقد تسنى للشافعي ذلك لجمعه بين فقه أهل العراق الذي أخذ عن أصحاب أبي حنيفة وبين فقه أهل المدينة ، فتوفيقه بين الطريقتين – طريقة أهل الرأي(ابن خلدون ، ص 496) أصحاب أبي حنيفة ، وطريقة أهل الحديث أصحاب مالك – مكنه من تجريد القواعد والأصول والكليات ، والغرض من منهج الأصول هو إفادة الأحكام من الأدلة باتباع القواعد أو القوانين الأصولية . والأصول التي جردها الإمام الشافعي وهذبها في كتابه (الرسالة) قد أفادت المفسرين خاصة كلامه عن القرآن وناسخه ومنسوخه ، وألفاظه الخاصة والعامة والمشتركة ، وأن القرآن يفهم بالقرآن ، أو بالسنة(الشافعي 2009م ، ص 144–180.) .كما فتح الشافعي لأهل الحديث – بعد الإمام مالك بكلامه عن بيان السنة وأنها درجات من الاستدلال حسب درجات التواتر والشهرة وأخبار الآحاد واتصال السند – باباً مكنهم من تأليف الجوامع ، والمسانيد ، والسنن ، وعليه يمكن القول : إن علوم القرآن والحديث قد كملت وهذبت وضبطت بظهور كتاب الرسالة الذي بلور فيه الإمام الشافعي أصول الفقه وقعدها.

أما في مجال اللغة فقد برز الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي كان قارئاً كما كان لغوياً صاحب رحلة إلى البوادي ، جمع في رحلاته اللغة ، فقد أفاد الخليل من منهج النقل والتحمل الذي ابتدعه علماء الحديث ، كما أفاد من علم الرياضيات وعلم الكلام وعلم الفقه ، فعكف على ما جمعه من اللغة ، وعلى ما جمعه الأئمة من قبله يفحصه ويصنفه ؛ فتمكن من تهذيب علم النحو وتجريد قواعده وطردها وتقعيدها .

فمد القياس وشرح العلل(الفيروز أبادي 2001م ، ص 76) ؛ فأخذ عنه ذلك تلميذه النابغة سيبويه فأخرج للناس الكتاب في علم العربية وأصبح فيه إماماً وصار الناس من بعده في كل المذاهب النحوية عالة عليه .

وكان الخليل أيضا مقعداً لأصول اللغة وضوابط الأصوات من مخارج وصفات ، وقد تسنى له ذلك بفحصه المادة اللغوية التي جمعها الرواة قبله ، وكذلك بربطه تلك المادة اللغوية الحية المنطوقة التي استقاها من أفواه الأعراب في البوادي ؛ فتمكن من استقراء أصول الألفاظ مجردا إياها ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي فبرزت منهجيته في تقعيد أصول اللغة وحصرها من خلال المخارج والأبنية في معجم (العين) الذي رواه عنه تلميذه الليث بن سعد ؛ فكان هذا العمل فاتحاً الباب لكثير من مؤلفي المعاجم على طريقة الخليل أو على خلافها ، وقد استطاع الخليل باستقرائه نصوص الشعر العربي التي جمعها الرواة وتحقق من صحتها ، أن يستخرج قواعد العروض أو قواعد الوزن والقافية(بنت الشاطئ ،1995م،ص60) ، فطرد هذه القواعد وعممها وحللها وعلل لها وأحكمها ؛ فولد علم العروض على يديه كاملاً ، وصار العلماء من بعده عالة عليه ، شارحين ومستدركين ، وقد أفاد هذا العلم في ضبط الشعر العربي والتمييز بينه وبين النثر.

وكان الخليل بتقعيد قواعد النحو والصرف ، وأصول اللغة ومخارج الأصوات ، وقواعد العروض والقافية عبقري الحضارة الإسلامية ، وكل من الإمام الشافعي والخليل بن أحمد – رحمهما الله – قد أفادا العلوم الإسلامية بتقعيد القواعد وضبط الكليات وطردها ، وبهذا الصنيع الذي برز في العلوم الإسلامية يكون التقعيد في العلوم من أهم المزايا التي قدمها علماء المسلمين لهذا العالم وللحضارة الإنسانية.

وقد رافق تقعيد القواعد وتجريدها وتهذيبها في هذه المرحلة ، تهذيب صناعة العلوم، بضبط مصطلحاتها وبيان طرائق تعليمها ومذاهب علمائها ومواطن الخلاف فيها . يقول ابن خلدون : (ويدل على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه ، ولكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها ....)(ابن خلدون ،ص460–477). فإمام المذهب في علم من العلوم هو وتلامذته لهم اصطلاحاتهم في العلم ، وقد تلتقى مذاهب العلم الواحد في كثير من المصطلحات وتختلف في بعضها ، فكان كمال التهذيب ضبط المصطلحات وشرحها ، ولذلك ظهرت ظاهرة الحدود والتعريفات للضبط والإفهام والتعليم ، وكذلك كملت العلوم وهذبت باتصال سند رجالها من الثقات وأهل النظر ، وهذا يفيد المتعلمين ، المتلقين فطنة وذكاء ويرسخ فيهم ملكة(ابن خلدون ص–480477) تجعلهم مقتدرين بما تعلموا وضبطوا .

د – مرحلة التقويم والتأصيل: –

هذه الخطوة الرابعة وهي المرحلة التي وعى فيها علماء العلوم الإسلامية القواعد والأصول واستطاعوا من خلالها أن يميزوا المذاهب ويربطوا بين الفروع والأصول ، ويردوا الفروع إلى الأصول وأن يحكموا تلك الأصول في المسائل والخلافات ، وبرزت لديهم في هذه المرحلة نظرية الأصل والفرع أو فكرة الأصل والفرع، وأيضاً في هذه الفترة استفاض التأليف في نظريات العلوم ومناهجها أي في الأصول سواًء كان ذلك في الحديث أو في الفقه أو في اللغة ، ونشطت بذلك حركة التأصيل والتقويم . والغرض من هذه الحركة هو تقويم العلوم بناًء على قواعدها وأصولها التي قعدت وجردت وهذبت في المرحلة السابقة ، ورد الفروع إلى أصولها وقواعدها التي تضبطها وتحكمها وتجمع شعثها.

إذن في هذه المرحلة كثر التأليف في نظريات العلوم ؛ أي في قواعدها ومناهجها ، وضبط مصطلحاتها والترجمة لعلماء كل علم ، وقد كانت رسالة الإمام الشافعي – التي بلور فيها أصول الفقه ورتبها حسب أهميتها – فاتحة التأليف في الأصول والقواعد ، والبحث النظري في القواعد والأصول وطرق الاستدلال والقياس(عبد الغفار 2007م، ص 30)..وقد كانت (الرسالة) للإمام الشافعي تمثل تطوراً في التفكير المنهجي عند علماء المسلمين ، وهي ذات تأثير واضح على نظريات العلوم الإسلامية (عبد الغفار 2007م، ص 36). وبعد بروز كتاب (الرسالة) في أصول الفقه ، نشطت الحركة العلمية التأصيلية ، وهذا النشاط العلمي في أصول العلوم وقواعدها ، كان مدفوعاً إلى تقويم العلوم وتأصيلها ، ففي مجال الفقه استفاض التأليف في أصول الفقه وكثرت المطولات ، ثم تلتها المختصرات ثم تلتها الشروح ، وكانت هذه الأطوار في مرحلة التقويم والتأصيل من البسط والتطويل إلى الاختصار(ابن خلدون ، المقدمة ، ص 588.) إلى الشروح شائعة في كافة العلوم الإسلامية النقلية الشرعية المتعلقة بالكتاب والسنة ، والوضعية الحكمية مثل الرياضيات والفلك والطب والكيمياء وغيرها من العلوم المتعلقة بإعمار الأرض وتمكين الإنسان ، فالخطوة الرابعة التي أسميناها مرحلة التقويم والتأصيل ، هي مرحلة استفاض فيها التأليف في أصول العلوم وقواعدها ومناهجها ومصطلحاتها وطبقات رجالها ، وهذا يدل على أن علماء المسلمين – بعد نضج العلوم وتبلور قواعدها ، وبروز أصولها ، واختلاف طرق تعليمها – احتاجوا لضبط هذه العلوم وتقويمها وتأصيلها ، ولا يتسنى لهم الضبط ما لم يستنبطوا القواعد بعد الاستقراء ، ويتعرفوا المناهج والقواعلإتكاء على الموضوعية ، والعلمية ، والدقة ، وإعمالهم الحواس ، واعتبار الواقع. ولما فرغوا من تقعيد

القواعد وتهذيبها وضبطها ، كان من العلم والمنهج تقويم كل علم وفق قواعده وأصوله ومناهجه فكان التأليف النظري المنهجي في الأصول ففي مجال علم الحديث ، صنف الخطيب البغدادي(بنت الشاطئ ، 1995م ، ص 80.)

كتابه الجليل(الكفاية في علم الرواية) وبلغ هذا ذروته المنهجية في القرن السابع الهجري عند ابن الصلاح في كتابه المشهور (مقدمة ابن الصلاح) وهو كتاب لا يستغنى عنه دارسو المناهج ومحققو النصوص والمصادر ، ولعله يكفي شاهداً ودليلاً على ما وصل إليه منهج النقل والتحمل من بالغ الدقة والأصالة(بنت الشاطئ ، 1995م، ص 80.).

وقد عني العلماء بالنقل والتحمل شفاهة وكتابة ففي الرواية والمشافهة حددوا طرق التحمل والأداء وحصروها في أنواع مثل : السماع ، وتليه القراءة على الشيخ حفظاً أو كتابة ، ثم تليها الإجازة ، ثم المناولة ثم المكاتبة ، ثم إعلام الشيخ أن سماعه من فلان ، ثم الوصية ، ثم الوجادة ، وقد استفاض علماء الحديث في شرح أنواع الأداء هذه لمن أراد الاستذادة يرجع إليها في مظانه(ابن كثير ، الباعث الحثيث ، ص 97-115.) . وفي مجال الكتابة والتدوين والنسخ ، عني أيضا علماء الحديث بالضبط والدقة ومن الضوابط التي وضعوها للكتابة : ضبط الملتبس ، وضبط الأعلام ، وكرهوا الخط الدقيق من غبر عذر مسوغ وكان أدق الضبط عندهم ضبط العبارة في المنقوط والمشكول ومع ذكر مثال مشهور من نحو عقال على وزن غراب ، ومنعوا أن يصطلح الكاتب مع نفسه(ابن كثير ، الباعث الحثيث ، ص 97-115) ؛ أي أن يكون المصطلح مشهوراً ومعروفاً لدى أهل الفن وغير ذلك مما استفاض في كتب المصطلح.

وقد أفاد من منهج النقل والتحمل الذي أبدعه المحدثون المؤرخون والإخباريون واللغويون في نقل اللغة وتحملها واستخدموا طرق النقل والتحمل التي أبدعها المحدثون كما استخدموا ضوابط الكتابة والنسخ التي قعدها المحدثون في تقعيد قواعد النحو وضبطها وتقويمها وفي نقل نصوص الأدب وروايتها وفي تأليف المعاجم وكتب الأمالي والمجالس وغيرها .

وفي مجال النحو قد استفاض التأليف في علم أصول النحو مذ بدأ الخليل فكرة الأصل والفرع وفكرة العامل والقياس وأول كتاب ظهر باسم أصول النحو كتاب ابن السراح ثم كتب ابن جني خصائصه فأفاض فيها عن أصول النحو وأصول اللغة وبلغت أصول النحو ذروتها النظرية والمنهجية عند ابن الأنباري في كتبه (الإنصاف في مسائل الخلاف) و(لمع الأدلة في أصول النحو) و (الإغراب في جدل الإعراب)(ولد أباه ،1996م ، ص 206.).

وهكذا نلاحظ أن تقعيد العلوم الإسلامية قد مر بأربع خطوات أو مراحل إلى أن بلغ قمة النضج المنهجي والعلمي ، وقد التقت العلوم الإسلامية النقلية والحكمية في كثير من مناهجها وطرائقها وتلاقحت أفكار علمائها فأبدعوا في التفكير ، وفي المنهجية ، والتنظير ، والتقويم ، والمراجعة ، والتثبيت فأفادوا الحضارة الإنسانية إذ أسفرت عمليات التقعيد والتهذيب والتقويم والمراجعة في كافة العلوم الإسلامية عن عدة مناهج أسهمت بصورة فاعلة في النقلة الكبرى للعلوم وتطبيقاتها مجسدة في الحضارة الغربية المعاصرة ، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية قد أرسيا قواعد الموضوعية والشكلية في الالتزام الأدبي في النقل والبحث ، والتقصي ، والصياغة فرسالة المفسر والمحدث ، والأديب ، يجب أن يكون انطلاقها من قواعد الحق والاستقامة.

وانطلاقاً من قواعد الضبط ومناهج النقل والتحمل والأصول ومقولات القرآن والسنة أرسى الفكر الإسلامي قواعد المنهج التجريبي أو الاستقرائي وحدد عناصره الأساسية المتمثلة في التجربة ، كما حدد قواعده التنظيمية المتمثلة في قوانين الاستقراء ، كما أن علماء المسلمين قد ربطوا الحس بالعقل وسموه الاعتبار وهو ما يسمى قوانين

الاستقراء المتمثلة في التناسق التام بين ظواهر النظر ، والتأمل ، والتفكير ، والحس ، والعمل(عناية ، 1990م ص 95.).

وقد انتقل هذا التقعيد المنهجي المنضبط الذي شمل العلوم الإسلامية النقلية إلى العلوم الحكمية التي ترجمت إلى العربية فأفاد العلماء المسلمون الذين اختصوا فيها ، من منهج علماء الحديث في النقل والتحمل ، كما أفادوا من منهج علماء الأصول في الاستقراء والاستنباط والتقصي ؛ فأخرجوا علوم الأوائل من دائرة الوهم والسحر والتأمل الباطني ، وأنزلوها إلى واقع التجريب والنظر والاعتبار والاستقصاء ، وقد برز ذلك في علماء أفذاذ أفادت أعمالهم ومناهجهم البشرية في نهضتها المعاصرة ، أولئك العلماء منهم الحسن بن الهيثم الذي طبق في علم المناظير منهج الاستقراء التجريبي(عناية ، 1990م ص 100-101) في مقدمة كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) . ومجال القول في الموضوع متسع غير أن هذا ليس مجال تفصيل بقدر ما هو مجال التمثيل والاستشهاد.

الخاتمة

بينت هذه الدراسة دواعي نشأة العلوم الإسلامية ومنطلقات تأسيسها ، ثم وضحت دواعي تقعيد قواعدها ، وشرحت خطوات منهجية تقعيدها ومراحلها من الجمع والتدوين ، ثم الفحص والاستقراء ، ثم التحليل والتقنين إلى التفسير متجسداً في التقويم والتأصيل، ومن ثم توصلت إلى النتائج التالية :

*نشأت العلوم الإسلامية من واقع فكري عملي تجسد في الحاجة إلى معرفة تنزيل أحكام الشريعة من مصدريها :القرآن الكريم ، والسنة المطهرة في واقع المكلفين من المسلمين ، ومن عاش في كنفهم من أصحاب الملل والنحل.

1. كان لتقعيد العلوم الإسلامية دواعيه التي أهمها الضبط ، والإتقان ، وتوخي الحق والعدل ، ونفي الهوى والوهم.

2. قواعد العلوم الإسلامية استمدت من استقراء ما جمع من تلك العلوم من لدن عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، إلى أيام التابعين وأتباعهم ، وكان ذلك في التفسير ، والفقه ، والقراءات ، والسنة ورجالها ومتونها ، واللغة ومتونها ورواياتها.

3. المعرفة التي انبنت عليها العلوم الإسلامية يمكن وصفها بأنها معرفة تثقيف وانتاج ، ترتبط بالقيم والمعاني ، والمعايير ، ويترتب عليها إحداث تغيير إيجابي في شخصية الأفراد والجماعات ، لإلحاق الهداية والرحمة بهم بلاغاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

4. اتخذ تشكيل المعرفة في العلوم الإسلامية صوراً متعددة ، مثل المسائل والأحكام والأبواب ، وربط المحتوى بالمستوى والهدف ؛ فكانت المختصرات ، والمطولات ، والمنظومات ، والشروح ، وقد اتسق ذلك مع أهداف البحث والتأليف عندهم وهي : جمع مشتت ، واختصار مطول ، وشرح غامض ، وترتيب مختلط ، وتهذيب منتشر ، وإيجاد معدوم . وهذه الأهداف هي نفسها أهداف البحث المعاصر.

5. معظم القواعد في العلوم الإسلامية مبنية على الوصف والاستقراء ، وهي غير قابلة للتغيير ؛ لارتباطها بثابت، وهو القرآن الكريم والسنة والمطهرة.

6. جرى تقعيد العلوم الإسلامية وفق مناهج مختلفة تناسب كل علم مثل : المنهج الاستدلالي الذي استخدم في أصول الدين ، وأصول الفقه ، وأصول النحو ، والمنهج الاستقرائي الذي داخل المنهج الاستدلالي في أصول الفقه، وأصول النحو ، وانتقل إلى الكيمياء والمناظير وغيرها على أيدي علماء الإسلام ، والمنهج الاسترادي الذي جرت عليه علوم الحديث ونتج عنه منهج النقل والتحمل ، الذي يعد أضبط منهج في توثيق النصوص ونقل الأخبار .

المراجع

1. ابن الجوزي ، جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر ، المدهش ، ضبط مروان قباني وتصحيحه ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، د. ت .
2. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط1 ، د.ت.
3. ابن سلام الجمحي ، محمد ، طبقات فحول الشعراء ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة – السعودية ، ط2 ، 1980م .
4. ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الشريعة ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1430هـ 2010م .
5. ابن نديم ، الفهرست ، مكتبة خياط ، بيروت– لبنان– ط1 ، دت.

6. أبو البقاء الحسيني الكفوي ، أيوب بن موسى ، الكليات ، تحقيق عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1413هـ 1993م .
7. أبو المكارم ، علي ، المدخل إلى دراسة النحو العربي ، دار غريب ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 2006.
8. أبو سليمان ، عبد الحميد ، أزمة العقل المسلم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيريجينا – الولايات المتحدة ، ط1 ، 1412هـ 1992م.
9. أقلانية ، المكي ، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاث الأولى ، كتاب الأمة العدد 34 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة – قطر ، ط1 ، 1413 .
10. إمام ، زكريا بشير ، قياس التمثيل القرآني ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ، الخرطوم – السودان ، ط1 ، 1415هـ 1995م .
11. الإمام البخاري ، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري ، تقديم أحمد محمد شاكر وترقيم الشيخ محمود محمد فؤاد ،ألفا للنشر والتوزيع والنشر ، ط1 ،2010 م ، 1430 هـ .
12. الإمام السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أدب الإملاء والإستملاء ، شرح سعيد محمد اللحام ومراجعته ، دار مكتبة الهلال ، القاهرة – مصر ،ط1 ، 1409هـ –1989م .
13. الإمام السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1418 هـ –1998 م .
14. الإمام الشافعي ، محمد بن إدريس ، الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار العقيدة ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1430هـ 2009م .
15. الإمام الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفى من علم الأصول ، عناية عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، 1971 م .

16.الإمام مالك ، مالك بن أنس ، الموطأ ، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي وتعليقه ، دار الحديث ، القاهرة – مصر ، ط4 ، 1419 هـ 1999م .
17.بشار ، سعيد ، المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية ، كتاب الأمة العدد 78 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة – قطر ، ط1 ، 1421هـ 2000م .
18.البنا ، فؤاد ، التفكير الموضوعي في الإسلام ، كتاب الأمة العدد 137 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة – قطر ، ط1 ، 1431هـ 2010 م .
19.بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن ، مقدمة في المنهج ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة القرويين ، المغرب ، ط1 ، 1971م .
20.التهامي / البشير ، تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1428هـ ، 2007م.
21.الجراح ، محمود محمد ، أصول البحث العلمي ، دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 1429 هـ 2008م .
22.الجزائري ، أبوبكر جابر ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1403هـ.
23.جعيط ، هشام ، أزمة الثقافة الإسلامية ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 2004م.
24.جعيط ، هشام ، في السيرة النبوية ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 2007 .
25.حسان ، تمام ، الأصول ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1425 هـ ، 2004م.
26.الخطيب ، محمد عبد الفتاح ، حرية الرأي في الإسلام ، كتاب الأمة العدد 122 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة – قطر ، ط1 ، 1428هـ ، 2007م .
27.خليف ، يوسف ، مناهج البحث الأدبي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1997م.
28.خليل ، عماد الدين ، حول تشكيل العقل المسلم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الرياض – السعودية ، ط5 ، 1415هـ ، 1995م .
29.الخياط ، محمد هيثم ، في سبيل العربية ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر ، ط4 ، 1425هـ ، 2004م.
30.الراجحي ، شرف الدين ، في قواعد الكتابة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية –مصر ، ط1 2000م.
31.الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر مختار الصحاح دار التوفيقية ، القاهرة –مصر ، ط1 ، د،ت.
32.زروق ، عبد الله حسن ، الإسلام والعلم التجريبي ، المركز العالمي لأبحاث الإيمان ، الخرطوم – السودان ، ط1 ، 1992م .
33.السامرائي ، أحمد عبد القادر ، من أعلام العلماء العرب في القرن الرابع الهجري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ، ط1 ، 2002م.
34.سعيد ، همام عبد الرحيم ، الفكر المنهجي عند المحدثين ، كتاب الأمة العدد 16 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة – قطر ، ط1 ، 1408هـ .
35.سعيد جاسم الزبيدي ، القياس في في النحو العربي، دار الشروق ، عمان – الأردن ، ط1 ، 1997.
36.شاهين ، عبد الصبور ، في التطور اللغوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1405هـ – 1985م.
37.الشكعة ، مصطفى ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط10 ،

2009م.
38.الشناوي ، عبد العزيز ، أدب الخلاف والاختلاف في الإسلام ، مكتبة الإيمان ، المنصورة – مصر ن ط1 ، 1430 هـ –2009 م .
39.شنوقة ، السعيد ، دراسات في آليات التحليل وأصول اللغة والنحو ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ط1، 2009م.
40.شهيد ، ألحان ، منهج النظر المعرفي بين أصول الفقه والتاريخ الشاطبي وابن خلدون نموذجاً ، كتاب الأمة ، العدد114 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الدوحة – قطر ، ط1 ، 1432هـ –2011م .
41.الشواني ، أحمد ، مع الأئمة الأربعة ، المقطم للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1428 هـ – 2007م .
42.عبادة ، محمد إبراهيم ، النحو التعليمي في التراث العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية – مصر ، ط1 ، 1986م.
43.عبد الغفار ، السيد أحمد ، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه ، دار المعرفة الجامعية – جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية – مصر ، ط1 ، 2007م.
44.عبد القادر أحمد الشيخ الفادني ، منهجية البحث العلمي العلمي ، مطبعة جامعة أم درمان الإسلامية ، الخرطوم – السودان ، ط2 ، 2002م .
45.عمر ، أحمد مختار ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ط8، 2003م.
46.العمري ، أكرم ضياء ، وآخرون ، منهجية العلوم الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيريجينيا – الولايات المتحدة ، ط1 ، 1412هـ – 1992م .
47.عويس عبد الحليم ، الفقه الإسلامي بين التطور والثبات ، كتاب الشرق الأوسط ، ط1 ، د.ت .
48.غازي حسين عناية ، مناهج البحث العلمي في الإسلام ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1410هـ 1990 .
49.فياض ، سليمان ، الأئمة الأربعة ، كتاب الدوحة ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة – قطر ، ط1 ، 2011م.
50.الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، عناية بركات أبو يوسف هبود ومراجعته ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1422هـ – 2001 م .
51.القطان ، مناع بن خليل ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف ، الرياض – السعودية ، ط5 ، 1482هـ – 2007 م .
52.الكاروري ، عبد الجليل النذير ، التقوى والتقنية ، مؤسسة الصلحاني ، دمشق – سوريا ، ط2 ، 1422هـ – 2002م.
53.محمد علي ، فاطمة عبد الرحمن ، الكشف والإلهام في الفكر الإسلامي ، إصدارات هيئة علماء السودان ، الخرطوم – السودان ، ط1 ظن 2009م .
54.مكي ، الطاهر أحمد ، دراسة في مصادر الأدب ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط7 ، 1993.
55.الملخ ، حسن خميس ، التفكير العلمي في النحو العربي ، دار الشروق ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2002م.
56.المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر

المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1990 م .
57. ولد أبّاه ، محمد المختار ، تتاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، مطبعة ديديكو ، المغرب ، ط1 ، 1417هـ ، 1997م.
58.وهدان ، عمرو خاطر عبد الغني ، استكشاف البنية الدلالية في الخطاب الأصولي ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية – مصر ، ط1 ، 2010م.